اسم الدرس : سلسلة إشكاليات | إعادة ضبط (٢) | مفاهيم الاستضعاف من خواتيم سور هود

تصنيف الدرس : تربويات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

في المجلس الماضي تكلمنا عن درس بعنوان "**إعادة ضبط**"، وتكلمنا كيف أن القرآن يجعل الإنسان يفكر تفكيرًا شرعيًّا سليمًا، كيف يعيد القرآن ضبط العقول والقلوب والأرواح والنفوس ويضبطها على الفطرة؟

يوجد الكثير من الإشكاليات والتي قبل أن نتكلم في حلها، يكون الإشكال الأكبر أن ذوق الإنسان وفطرته تغيرت، هذا هو الإشكال الأكبر، أن ذوقه وأن فطرته وأن عقله تغير، لماذا تغير؟ تغير بسبب الواقع الذي يعيش فيه، فأصبح يستمد المبادئ والمعايير والقيم من الواقع، ولا يستمدها من الوحي.

بمعنى أنه يوجد فكرة كبيرة تنتشر، أشخاص كثر مشهورون، دول متقدمة هو يستقي المفاهيم والمبادئ والعقائد من الشهرة من الكَثْرة فيتغير الإنسان، يعود للوحي، فيفاجأ بأن هناك تصادمًا بين الوحي كتاب ربنا ﷻ وسنة النبي ﷺ وبين والواقع.

فهو داخله يحدث هذا التصادم، فإما أن ينهار و يترك المبادئ ويستسلم ويقبل بالواقع، أو أنه يقبل بالنص ويبدأ يقتنع بالنص، ثم يشتبك –بعد ما اقتنع بالنص– بالواقع ويحاول أن يغير قدر المستطاع بمفاهيم شرعية عن طريق مثلاً نوع الاستطاعة أو القدرة ويبدأ يقوم بالتغيير، لكن يوجد من يُقرر بدايةً أن يترك الوحي و يتماهى تمامًا مع الواقع.

موضوع الدرس:

اليوم سنتكلم عن سورة هود: سوف نرى من خلال خواتيم سورة هود كيف أن **القرآن يضبط النفس البشرية** –ولا سيما عند طول فترة الاستضعاف–.

النفس مليئة بالدهاليز ومعقدة جدًّا، وصعب السيطرة عليها، وصعب فهمها، كل ما ترجع حتى لعلماء النفس وخاصةً الغربيين، كل فترة يخرجوا بنظرية يعتقدون أنهم بدأوا بفهم النفس وما هي مداخل النفس.

والحل الوحيد لتوجيه النفس كما قال ربنا –سبحانه وتعالى-: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك ١٤]، **الذي خلق هذه النفس هو الذي أنزل إليها هذا الكلام ليضبطها**، فالإنسان

الذي يريد يضبط نفسه، أنت عندما تقول وتصرخ و تجأر وتقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة ٦]، ربنا يقول لك: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة ٢] **هذا الكتاب هو الهدى وهذا الكتاب لا ريب فيه فلا تبحث عن هدى غيره**، وخاصةً عندما يأتيك الكلام من الله، لما يأتيك كلام عُلوي ينزل عندك منزلة يقين، لكن عندما يأتيك حل بشري يظل فيه حالة من التردد.

مشاكل فترات الإستضعاف:

ما سنتكلم عنه اليوم أن طول فترة الاستضعاف تُحْدِث تشوهات في النفس، تجعل النفس من الممكن أن تقوم بنوع من المراجعات أو أن النفس تحاول أن تتملص وتبحث عن حل للخروج من الأزمة.

مشاكل فترات التمكين :

كذلك طول فترة التمكين، طول فترة النعمة – نحن لم نشاهدها من قبل– طول فترة التمكين تُغير في الإنسان، أن يظل الإنسان فترة مُمكنًا يبدأ يدخل في حالة من الترف.

وهذا دائمًا الذي يدرسونه في التاريخ، كيف تسقط الدول، أن مع طول فترة التمكين والدخول في حالة الترف ونسيان قضايا الصراع يجعل الدولة تنهار، و نظريات كثيرة كيف تسقط الدول؟

حتى الدول الإسلامية، كيف تسقط وكيف سقطت الأندلس وكيف سقطت الدولة العثمانية وغيرها كيف مثل هذه الخلافات والدول سقطت، أنه في مرحلة من المراحل بدأ يحدث حالة من الاسترخاء.

كيف يعالج القرآن التشوهات؟

واليوم نحن سنتكلم عن: كيف أن القرآن يعالج التشوهات؟ ما هو الذي يضبط النفس طول فترة الاستضعاف؟ طول فترة الاستضعاف وطول فترة الأذى تُحْدِث نوعًا من التشوهات.

وهنا كان بعض التحليلات، بعض الذين حاولوا أن يحللوا شخصية بني إسرائيل، قالوا أن الشخصية المشوهة هذه التي تقوم دائمًا بتمرد على النص ورافضة لأي شرع، وحتى النص الذي طبقوه حدث فيه نوع من المماطلة {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} [البقرة ٧١] حتى الشيء الذي طبقوه كان بعد نوع من المماطلة.

بعضهم قال أن تحليل شخصية بني إسرائيل هذه، وكتب وحاول أن يُحلل الشخصية اليهودية مثل الدكتور "صلاح الخالدي" أو غيره مثل " البهي الخولي" في كتاب عن بني إسرائيل، وغيرهم كثير وحتى من المعاصرين حاول يحلل هذه الشخصية.

بعضهم وصل أن طول فترة التعذيب لم يستطيعوا أن يقاوموا ذلك، وأن الإنسان طوال هذه الفترة لابد أن يُقاوم كي لا يتغير، حدث لهم نوع من التشوهات أثرت على تلقيهم للوحي، فعندما جاء يتلقى الوحي بعدها، تلقاه بحالة من التمرد ولم يقبله إلا بعد أن نتق الله الجبل فوقه، وكل ما يُقال لهم خذوا ما آتيناكم بقوة، يرفضوا ويحدث نوع من التمرد، بتعبير "د.فريد الأنصاري" في سورة البقرة أن شعار الحزب الأول من سورة البقرة "تمرد بني إسرائيل"، كيف كانوا يتمردون على النص.

فالنَّفْس طول فترة الأذى وطول فترة الاستضعاف ممكن أن يحدث بداخلها نوع من التملص من التكليف، ممكن أن تترك الرسالة، ممكن أن تكفر بمبادئها، ممكن أن تغير عقيدتها، أنت لا تعرف ما الذي يمكن أن يحدث في دهاليز النفس أثناء طول هذه الفترة، ففي هذه الفترة –فترة الأذى الطويل– النفس تظل تبحث عن عقائد ثابتة تتمسك بها.

مثلاً أحد أطباء علم النفس حاول أن يقدم نظرية تُنقذ الإنسان في فترات الأذى يسميها بتعبيره –اسمه فيكتور فرانكل– اسمها "Logo-therapy" البحث عن المعنى، وكان شيئًا غريبًا جدًا أن هذا الطبيب من النمسا، والنظريتين السابقتين له لعلم النفس أيضًا ل"فرويد" في النمسا، ثم بعده جاء " أدلر" من النمسا وهذا أيضًا، الثلاثة جاءوا من فيينا.

الشاهد أن كل واحد منهم كان يحاول أن يفهم النّفس.

القرآن يعطيك معني لتحيا به :

أحدهم أخرج عُقده الجنسية " فرويد" في علم النفس، و الثاني رأى الحل في القوة والسيطرة، الثالث مر بأزمة –هنا الشاهد– أنه كان في الحرب العالمية و دخل معتقل النازيين، الألمان اعتقلوه كان تعرض لفترة طويلة من الأذى والتعذيب، وبدأ يسأل نفسه ما الذي يجعل الإنسان في وسط مرحلة طويلة، حتى ليس فقط الأذى الذي من البشر، ممكن مثلًا واحد أصيب بمرض عضال، فكان يسأل دائمًا سؤالًا لنفسِه ولأي أحد يقابله لماذا لا تنتحر؟

كانت هذه الفكرة التي جاءت له، ما الذي يجعل الإنسان يتمسك بالحياة؟ فبدأ يكتشف أن **أكثر شيء يجعل الإنسان يكتسب قوة ولا يُحبط ولا ييأس وقوة نفسية داخلية أن يكون هناك معنى يبحث عنه ويتمسك به**.

كان يسأل أي أحد يقابله في السجن في المعتقل، لماذا لا تنتحر؟ مع أن الألمان كانوا في قمة العنف، النازيين كانوا في قمة العنف، وكان يسأل أي أحد، وبدأ يخرج نظريته التي هي (Logo-therapy)، **البحث عن المعنى**، التي هي العلاج من خلال أنه يعطيك أمل تعيش لأجله، مثلاً كان يسأل أحد لماذا لا تنتحر؟ يقول له: أحب أولادي، فيظل يضخم له مفهوم الأولاد أنك تحتاج أن تعيش لأجلهم وتموت لأجلهم وتسعى لأجلهم ولا تؤذي نفسك لأجلهم.

يبحث عن أي شيء، على أمل، على أي معنى، لذا كانت فكرتها كلها البحث عن المعنى، وهناك كتاب أصلاً كتاب ممتع مؤلم، حكى فيه قصته بالتفصيل، والذي حدث له، وبتفاصيل يومه التي كان يمر بها في المعتقل، تفاصيل، وشرح كيف اكتشف النظرية، وكيف بعد ما خرج نشر هذه النظرية، وحاليًا أصبحت نظرية من نظريات علم نفس، وإن كان الدين لم يأخذ فيها مساحة.

خلاصة الذي أقوله أن الشاهد من هذه القصة أننا كمسلمين أن **القرآن يقدم لك هذه المعاني**، القرآن لا يشرح لك ما يحدث فقط، القرآن يقول لك وظيفتك أنك أنت عبد، وأنك أنت تُهاجِم هذا أصلًا، وأنت لديك عقيدة ولديك سنن تفهم بها ما يحدث، وتفهم أيضًا مفهوم البلاء.

لذلك المسلم ليس عنده المشكلة التي تجعل الكثير يُلحِد، نسميها "مشكلة الشر" وهذا علم كامل يحاولون أن يردوا عليه، وحتى النصارى يحاولون أيضًا أن يردون عليه، لكن للأسف عندهم إشكاليات في الرد.

الشاهد أن المسلم ليس عنده ذلك، **هو يفهم أن أمر المسلم كله خير** حتى لو بلاء فصبر فكان خيرًا، وأن هناك أعمالًا يقوم بها في لحظات البلاء، هو يقاوم لا يستسلم حتى لو كانت هذه الأعمال أعمالًا نفسية، أي حتى ولو لم يكن هناك حركة تحدث، فهو مستشعر لمفهوم **العبودية**، وأنه عندنا شيء اسمه واجب الوقت، أنه **في كل وقت من الأوقات، لديك واجب تقوم به كي تنجو**.

أنت لديك رؤية من أعلى –رؤية عُلوية–، كان "فرانكل" يحاول أن يأتي بأي معنى للناس ليعطيهم أملًا يعيشون من أجله، وكان يَفشل أحيانًا فينتحر الرجل، فكان يقول أنه في كل يوم، كان ينتحر اثنان تقريبًا، كان يفشل في أن يأتي لهم بمعنى يعيشون من أجله، المسلم لا يفشل في هذا أبدًا.

لذلك كان فرانكل يعتمد على كلمة لنيتشه كان يقول: "من يمتلك سببًا يعيش من أجله، فإنه يستطيع غالبًا أن يتحملَ بأي طريقة وبأي حال" الذي يملك سببًا يعيش لأجله يستطيع أن يصارع كل شيء لأجله، نيتشه الذي قال هذه الجملة مات مجنونًا.

جُنّ؛ لأنه لم يمتلك هذا، اعتقد أن بإمكانه أن يأتي بها من الأرض واعتقد أن الإنسان كما بتعبير القرآن {وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا} [يونس ٢٤]، نيتشه أخرج فكرة السوبرمان الذي يستطيع أن يفعل أي شيء، نحن لا نريد السوبرمان نحن نريد العبد، مفهوم العبودية لله ﷻ ، **في كل وقت أنت عبد،** في وقت الاستضعاف أنت عبد، في وقت التمكين أنت عبد، أيًا كان أنت لك واجب الوقت تقوم به كعبد لله ﷻ.

فقدان سبب للحياة للغرب:

فهذه هي مشكلة الغرب الآن وللأسف هذه المشكلة انتقلت إلينا لما فقدنا هويتنا كمسلمين، وفقدنا أن القرآن هو الذي يضبط لنا العقائد والمبادئ الخاصة بنا، بدأنا نبحث عن أي معنى للحياة، أي شيء يجلب السعادة، أصبحت رحلة البحث عن المعنى أو البحث عن السعادة، أن أحقق الإنجاز، أن أصبح مشهورًا أن ...

فكثير من الدراسات التي أُجريت على مسألة: أثر مواقع التواصل الاجتماعي على نفوس الناس، وكيف أنه يريد أن يشتهر حتى من الممكن أن يكذب ويصور نفسه، يريد أن يشعر أن الناس تهتم به، يريد أن يشعر بالاهتمام هو لا ينظر إلى السماء.

والنبي ﷺ يقول: (لكل عبد **صيت** في السماء)[1]، هو لا ينظر إلى السماء هو ينظر إلى الأرض يريد أنْ يكتسب أحدًا يهتم به، يريد أن يكتسب قيمة لحياته، يريد أن الناس تشعر به، فيبحث عن هذا بأي

[1] [عن أبي هريرة:] ما من عبدٍ إلا وله صِيتٌ في السماءِ، فإذا كان صِيتُه في السماءِ حسنًا وُضِعَ في الأرضِ حسنًا، وإذا كان صِيتُه في السماءِ سيئًا وُضِعَ في الأرضِ سيئًا

وسيلة أرضية، **ونسي أنه عبد لله ﷻ**، وأن الله ﷻ يُجازيه على أعماله، وأن الله ﷻ يحب من المؤمن أفعالًا وأقوالًا لو قام بها لشعر بالرضا؛ لأنه إذا اعتقد وعاش أن الله ينظر إلى قلوبكم وأن هذا القلب هو محل نظر الرب ﷻ، **لو أنه عاش بهذه المعاني سوف يبذل معاني ضخمة، وسيقدم عبوديات عظيمة لله ﷻ**، لكن يأبى كثير من الناس ألا يفكرون إلا تفكيرًا أرضيًا، لا يفكر إلا في تحقيق إنجازًا أرضيًا.

الشاهد أنه مع طول فترة الاستضعاف في مكة هذا كان أحيانًا يجعل النفس تحاول أن تفكر في أي مخرج من هذا، ممكن أن أحدًا يقول –وهذا يحدث دائمًا مع طول فترات الاستضعاف– وما الفائدة ؟ ما الذي يجعلني أتحمل؟

وتبدأ النفس تحاول في الفترات التي مثل هذه تبدأ تحاول أن تجد كما في أول السورة {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} [هود ١٢] في سورة هود التي سنتكلم عنها اليوم.

ونحن نستجلي رؤية من خواتيم سورة هود، ما هي الأوامر والنواهي والقواعد والمبادئ والسُنن التي من المفترض أن نفهمها في مثل هذا الواقع، وهذا ختام سورة مكية. تخيل الذي يعيش مع القرآن.

لماذا نحتاج القرآن ؟

الصحابة كانوا يحتاجون إلى القرآن، بل النبي ﷺ كان يحتاج إلى القرآن كما هنا {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} فؤاد النبي ﷺ كي يَثْبُتْ كان يحتاج إلى الوحي، لما قال الكفار {لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} في سورة الفرقان قال الله: {كَذَٰلِكَ} أنزلناه مُفرقًا مُنَجّمًا {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} [الفرقان ٣٢].

إذًا الأحداث المتتالية في مكة وطول فترة الاستضعاف كانت الأفئدة تضطرب، أو الشيء كي يثبت، تأتي عليه رياح تزلزله، تحركه، فكي يظل ثابتًا يحتاج إلى شيء ليَثبُت به، أن يتمسك بشيء.

الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٢٢٧٥ • إسناده قوي • أخرجه البزار (٩٢٠٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٤٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١٦٣/٢) باختلاف يسير.

كما أن النبي ﷺ خرج على الصحابة وقال: (إن هذا القرآن الذي بأيديكم سبب) أي: حبل (طرفه بأيديكم وطرفه بيد الله)[٢]، فأنت تريد أن تثبت، تريد رسالة من الله تتمسك بها لكي تثبت في زمن الفتن والزلزلة {وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب ١١].

فهذا موجود في الوحي، ولا سيما مثل ما قلت في زمن الفتن في المرحلة المكية ترجع للسور وغيره من المرحلة المدنية مثل: غزوة تبوك، أو غزوة الأحزاب سورة براءة وسورة الأحزاب.

فالشاهد أننا سنجد أن هناك ملامحًا عامة في سورة هود –الوقت لن يسعفنا أن نتكلم عنها– كنت أعطيت مجلسًا أشبه بنظرة موضوعية عن سورة هود، من يريد نظرة موضوعية على السورة يرجع لهذا المجلس.

خواتيم سورة هود :

اليوم سوف نتكلم عن الخواتيم فقط لكن سنشير إشارات سريعة لبعض الأفكار التي تكررت في السورة، وأنه هناك معاني معينة تكررت كثيرًا في السورة سنحاول ونحن نمضي في خواتيم السورة أن نرجع إليها.

نبدأ الكلام، كيف أن خواتيم سورة هود تعالج الأزمات النفسية التي يمكن أن يمر بها إنسان مع طول فترة الاستضعاف؟ وأحيانًا –ليس فقط مع طول فترة الاستضعاف– لا، بل أحيانًا قد تكون هناك فترة الاستضعاف طويلة لكن مع بارقة أمل، أنت ترى في الأفق فكرة أو تلمح لك بارقة أمل أو احتمال أن يحدث شيء، وأحيانًا لا يوجد أي احتمالات في الأفق، ما الذي يمكن أن يحدث؟ لا تعرف، ماذا تفعل في حالة مثل هذه أو ما الذي تحتاجه في أوقات كهذه؟

أول نقطة : إياك أن تشك

[٢] [عن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو:] أَبشِروا أَبشِروا، أليس تَشهدونَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ؟ قالوا: نعم، قال: فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ طرفِه بيدِ اللهِ، وطرَفُه بأيدِيكم، فتمَسَّكوا به، فإنكم لن تَضِلُّوا ولن تَهلِكوا بعده أبدًا
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٧١٣ • إسناده صحيح على شرط مسلم • أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٤٨١)، وابن حبان (١/٣٢٩) (١٢٢)، والطبراني (٢٢/١٨٨) (٤٩١)

نقرأ سويًا خواتيم سورة هود، قال ربنا ﷻ [آية] ١٠٩ {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ} [هود ١٠٩] أول المعاني المهمة جدًّا: **إياك أن تشك في ضلال الباطل، وإياك أن تشك في الحق الذي معك**، إياكِ.

أخطر زلزلة تحدث لك أن تبدأ تشك في ضلال الباطل تقول قد يكون معهم حق، نُقدم بعض التنازلات، لو نترك بعض الحق الذي معنا، وهذا الباطل ليس باطل جدًا، وقضية التوحيد نحن عظمناها والشرك ليس بهذه الضخامة وتبدأ تحدث مراجعات للأصول ليس لبعض الوسائل التي من الممكن أن تتغير، لا، يبدأ يراجع الأصول.

لذلك {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ} [هود ١٠٩] **إياك أن تشك، القرآن مبني على اليقين من أول لحظة** {لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة ٢]، كما قلت لكم من قبل، الفلسفة قائمة أصلًا على أنه يخرج بنظرية ويشك فيها ويفكر، فهي قائمة على التجديد والشك، يأتي فيلسوف ينقد الفيلسوف الذي قبله، ثم يأتي الثالث يؤكد على الأول، ثم يأتي الرابع يؤكد على الثاني، ثم يأتي الخامس بنظرية جديدة وبعدها يأتي السادس وهكذا.

القرآن ثابت، فيه أصول ثابتة {لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة ٢]، فهنا {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ} [هود ١٠٩] هم كانوا يعبدون الأصنام، ويمكن أن ينتصر المشرك في معركة وينسب النصر للأصنام، فأنت تعتقد أن الأصنام عندها القدرة على النصرة؛ لأنها نصرتهم.

مثل أبي سفيان في أُحُد عندما قال: "اعلُ هُبل" هل أنت متخيل هذه الجملة ما الذي يمكن أن تفعله في نفوس بعض ضعاف المؤمنين؟ معركة هُزِمنا فيها في أحد وهو يقول أن من نصرهم الآلهة، ثم يدعو إلى هذه الآلهة "اعلُ هبل"، لذلك في البداية عندما قال أبو سفيان: أفيكم رسول الله؟ أفيكم أبو بكر؟ أفيكم عمر؟ فرد سيدنا عمر، فعندما قال اعلُ هبل فلم يرد المؤمنون ، فقال النبي ﷺ ألا تجيبوه؟ هناك قضايا لابد أن نرد عليها، لو المسألة مسألة شخصية يسأل على أبي بكر وعمر ليس ضروريًّا أن نرد على

مسألة شخصية، **لكن عندما تكون المسألة عقدية يلزم أن نرد**؛ قال ألا تجيبوه (الله مولانا ولا مولى لكم)[٣] نحن لنا الإله الحق، ولا مولى لكم.

بالرغم أنه من الممكن لمن يرى المشهد الأخير ولا يفهم تفاصيل الأحداث أن يقول أن الآلهة نصرتهم، الآن الاعتماد على الآلهة المادية أنهم معتقدون أن المادة ممكن أن تنصرهم {وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا} [يونس ٢٤] الاعتماد الكلي على الأسباب، وهذا نوع من أنواع الشرك، كما قال النبي ﷺ وهو عائد من حنين، قال الله ﷻ في الحديث القدسي كما أخبر النبي ﷺ: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)[٤] وهنا كان شرك الأسباب.

فإياك أن تظن أن الله ﷻ لن ينصر أهل الإيمان مهما كانت الظروف {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ} [هود ١٠٩] هذا باطل وسيسقط.

ثاني نقطة : إياك أن تعتقد أن الباطل سيستمر حتي النهاية

أكبر فتنة –كما ذكرت في الدرس الماضي– من أكبر الفتن التي يمر بها المسلمون الآن **أنه يرى التقدم الدنيوي عند الغرب**، –بل أنا أرى أنها أكبر فتنة– وهذا من الممكن أن يكون التطور الطبيعي الذي

[٣] [عن البراء بن عازب:] جعَلَ النبيُّ ﷺ على الرَّجّالَةِ يومَ أُحُدٍ، وكانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بنَ جُبَيْرٍ، فَقالَ: إنْ رَأَيْتُمُونا تَخْطَفُنا الطَّيْرُ فلا تَبْرَحُوا مَكانَكُمْ، هذا حتّى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ، وإنْ رَأَيْتُمُونا هَزَمْنا القَوْمَ وأَوْطَأْناهُمْ، فلا تَبْرَحُوا حتّى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ، فَهَزَمُوهُمْ، قالَ: فأنا واللَّهِ رَأَيْتُ النِّساءَ يَشْتَدِدْنَ، قدْ بَدَتْ خَلاخِلُهُنَّ وأَسْوُقُهُنَّ، رافِعاتٍ ثِيابَهُنَّ، فَقالَ أَصْحابُ عبدِ اللَّهِ بنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحابُكُمْ فَما تَنْتَظِرُونَ؟ فَقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ ما قالَ لَكُمْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قالوا: واللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ، فَلَمّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فأقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذاكَ إذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ في أُخْراهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مع النبيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فأصابُوا مِنّا سَبْعِينَ، وكانَ النبيُّ ﷺ وأَصْحابُهُ أَصابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَومَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ ومِئَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقالَ أَبُو سُفْيانَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلاثَ مَرّاتٍ، فَنَهاهُمُ النبيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قالَ: أَفِي القَوْمِ ابنُ أَبِي قُحافَةَ؟ ثَلاثَ مَرّاتٍ، ثُمَّ قالَ: أَفِي القَوْمِ ابنُ الخَطّابِ؟ ثَلاثَ مَرّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أَصْحابِهِ فَقالَ: أَمّا هَؤُلاءِ، فقَدْ قُتِلُوا، فَما مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقالَ: كَذَبْتَ واللَّهِ يا عَدُوَّ اللَّهِ، إنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْياءٌ كُلُّهُمْ، وقدْ بَقِيَ لكَ ما يَسُوءُكَ، قالَ: يَوْمٌ بيَومِ بَدْرٍ، والحَرْبُ سِجالٌ، إنَّكُمْ سَتَجِدُونَ في القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بها ولَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قالَ النبيُّ ﷺ: أَلا تُجِيبُوا له، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللَّهُ أَعْلى وأَجَلُّ، قالَ: إنَّ لَنا العُزّى ولا عُزّى لَكُمْ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: أَلا تُجِيبُوا له؟، قالَ: قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا اللَّهُ مَوْلانا، ولا مَوْلى لَكُمْ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٠٣٩ • [صحيح]

[٤] [عن زيد بن خالد الجهني:] صَلّى لَنا رَسولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بالحُدَيْبِيَةِ على إثْرِ سَماءٍ كانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمّا انْصَرَفَ أقْبَلَ على النّاسِ، فَقالَ: هلْ تَدْرُونَ ماذا قالَ رَبُّكُمْ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: أصْبَحَ مِن عِبادِي مُؤْمِنٌ بي وكافِرٌ، فأمّا مَن قالَ: مُطِرْنا بفَضْلِ اللَّهِ ورَحْمَتِهِ، فَذلكَ مُؤْمِنٌ بي وكافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأَمّا مَن قالَ: بنَوْءِ كَذا وكَذا، فَذلكَ كافِرٌ بي ومُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٨٤٦ • [صحيح]

بعده الدجال الذي هو مخلوق حقيقي، المسيح الدجال الذي يقول للأرض أخرجي زرعك وللسماء أمطري وهنا يُفْتن الإنسان، **الإنسان يُفْتن لأنه دائمًا يريد أن يُسيطر على الأشياء.**

فالغرب الآن يتقدم دنيويًّا ويحدث نوع من القدرة والطغيان فَيُفْتَن المؤمن ويقول: كيف تقولون عليهم كفارًا وهم عندهم تقدم دنيوي؟ ويتعامى عن الانهيار الأخلاقي، ويتعامى عن هدم الإنسان كإنسان تكلمنا في هذا وغيري تكلم فيه كثيرًا.

خطورة الشك في المنهج :

الشاهد أنه من **أهم النقاط التي يلزم التأكيد عليها بين الفَيْنَة والأخرى في مراحل الاستضعاف أن تكون على يقين من منهجك**؛ لذلك من الكلمات التي تكررت كثيرًا في سورة هود (**بينة**) أن تكون على بينة، مهما حدث أنك تكون متبين من منهجك لكن لا تفقد الثقة في الوحي، لا تفقد الثقة في القرآن.

أول ما تفقد الثقة في منهجك تبدأ تعيش في السراب، لا توجد أرض ثابتة تقف عليها فتبدأ تقبل أي منهج يُعرض عليك، يقال لك دين الإنسانية تقول: نعم، يقال لك نفعل كذا ونتغاضى عن الخلافات العَقَدية تقول: نعم، أنت أصبحت مُهَلْهَلًا، والعجيب أنه لا يتخلى بل هو يدعوك للتخلي وهو لا يتخلى عن دينه الباطل، ونحن نتخلى.

فخطورة أن تفقد اليقين في منهجك؛ أن تفقد الثقة في منهجك، فمن الأول إياك أن تشك في باطلهم {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ} [هود ١٠٩]؛ لأن الكثير ساروا في هذا الطريق ثم أمهلهم الله ثم أهلكهم.

{مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ} [هود ١٠٩] الآن طغيان هؤلاء بسبب القوة، فعاد قالوا من أشد منا قوة، الطغيان بسبب العلم، كان يوجد أناس أعلم منهم {إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ} [النجم ٥٢].

سُنة ربنا ﷻ **الإمهال ثم الإهلاك**، لكن الله ﷻ –وهذا يحتاج إلي فَهْم سُنن ربنا في معاملة الكفار وفي معاملة المؤمنين– قضى ﷻ من سنته في معاملته لهذه الأمة أنه ليس هناك عذاب عام كما كان يحدث في الأمم السابقة.

أي أن فكرة العذاب العام الشامل وهو الاستئصال هذه انتهت بإنزال الكتاب على موسى كما رُوِي عن النبي ﷺ أو موقوف على أبو سعيد الخضري، أنه لم يعد هناك من بعد لحظة إنزال الكتاب على موسى عذاب شامل واستئصال، لا تنتظره، ما هو الحل إذًا؟

الحل أن تقوم أنت بذلك، **فُرضت عليك المقاومة**، أنت الذي تقاوم، هذا من وظيفتك كعبد لله ﷻ {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ}[هود ١٠٩] وكل ما يفعلونه مكتوب عند الله ﷻ {وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ}[هود ١٠٩].

سنة الله هي {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا}

الاختلاف الذي معك في الكتاب، اختَلَف المشركون حول الكتاب وقالوا عنه كذا وكذا، أيضا اختُلِفَ في كتاب موسى، فأنت تسير على سَنَن السابقين، أي أحد يسير على طريق الأنبياء لابد له من أعداء {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ}[الفرقان ٣١]، {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ}[الأنعام ١١٢].

هذه سُنة أن الذي يسير على طريق الأنبياء، فلا بد من وجود أعداء له، الصراع مستمر إلى يوم القيامة لن ينتهي، لن يتوقف، (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود)[٥]، الصراع مستمر؛ لأنه ببساطة يمكن أن يقول أحد: أليس لها حل أبدًا؟ ألن نتمكن من الوصول إلى حل وُدِّي معهم؟

منذ بداية الصراع عندما رفض إبليس السجود قال أنظرني إلى يوم يبعثون فأنظره الله، وإبليس دائمًا له أعوان {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}[النساء ٧٦]، فإبليس مُنْظَر إلى يوم البعث، وهناك أشخاص تستمع لكلامه ومن المؤكد أن إبليس لن يقول لهم صلوا وصوموا، من المؤكد أن إبليس لن يدعوهم إلى الطاعة إلا لو أراد أن يُوقِعَهم في معصية أكبر.

فهناك أولياء للشيطان؛ فستظل المعركة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان إلى يوم البعث {حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}[محمد ٤] هناك قول أي إلى يوم البعث، لن يتوقف ذلك، قال النبي ﷺ: (الجهاد ماضٍ

[٥] [عن أبي هريرة:] لا تَقُومُ السّاعَةُ حتّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ حتّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِن وراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فيَقولُ الحَجَرُ أوِ الشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ يا عَبْدَ اللهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعالَ فاقْتُلْهُ، إلّا الغَرْقَدَ، فإنَّه مِن شَجَرِ اليَهُودِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٩٢٢ • [صحيح]

إلى يوم القيامة)[٦]، قال ﷺ: (لا تزال طائفة ثابتة على الحق)[٧] ، إذًا هذا مستمر إلى يوم القيامة، القضية أن تكون أنت من هذه الطائفة.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} أنت تتأسى بمن سبقك، {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}[٨]، لولا أن الله ﷻ قَضَى بعد إنزال الكتاب بعدم الإهلاك العام لكان أهلك كل الأمم التي تُكَذّب بالكتب، لكن سبقت الكلمة من الله ﷻ أن من بعد إنزال الكتاب على موسى ليس هناك عذاب عام، ليس هناك استئصال عام، هناك رواية استثنت القرية التي مُسِخَت قردة –أصحاب السبت–.

{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ}، كل ما يفعلونه مكتوب عند الله ﷻ يحاسبهم عليه.

{وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[هود ١١١]، جهد أهل الباطل وتفاصيل ودقائق ما يُخَطّ له أهل الباطل فعلًا أمر لو اطّلعَ الإنسان عليه يكاد يصيبه اليأس، لكن أنت تطمئن أن الله بما يعملون { خَبِيرٌ }.

حتى هنا لم يقل عليم، –ولله المثل الأعلى– بالنسبة لنا على مستوى البشر الخبرة تأتي مع طُول الزمن، وأن يكون لديك علم زائد ببواطن الأمور، هذه هي الخبرة، وكيف أنك تلتقط ما هي الخطط بالضبط، هم يخططون هذه ستحدث بعد عشرين سنة مثلًا، أو يخططون لها على مدار مائة سنة أو خمسين سنة، فرؤية هذه الخطط التي يخططون لها لأجل أن يهدموا الإسلام تحتاج إلى خبرة، فالله □ هو الخبير بما يعملون، فهذه الآية طمأنة وتهديد لهم، طمأنة لأهل الإيمان وتهديد لهم.

---

[٦] [عن جابر بن عبدالله:] بُنِي الإسلامُ على ثلاثةٍ؛ أهلُ لا إلهَ إلّا اللهُ لا تُكفِّروهم بذَنْبٍ ولا تشهَدوا عليهم بشِرْكٍ، ومعرفةُ المقاديرِ خيرِها وشرِّها مِن اللهِ، والجهادُ ماضٍ إلى يومِ القيامةِ مُذْ بعَث اللهُ مُحمَّدًا ﷺ إلى آخرِ عِصابةٍ مِن المُسلِمينَ لا ينقُضُ ذلكَ جَوْرُ جائرٍ ولا عَدْلُ عادلٍ
الطبراني (ت ٣٦٠)، المعجم الأوسط ٩٥/٥ • لم يرو هذا الحديث عن الثوري والأوزاعي وابن جريج إلا إسماعيل بن يحيى التيمي

[٧] [عن جابر بن عبدالله:] لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلُونَ على الحَقِّ ظاهِرِينَ إلى يَومِ القِيامَةِ، قالَ: فَيَنْزِلُ عِيسى ابنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فيَقولُ أمِيرُهُمْ: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَراءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هذِه الأُمَّةَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٥٦ • [صحيح]

[٨] ١. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿هود: ١١٠﴾
٢. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿فصلت: ٤٥﴾

حسنًا، فهنا الآيات من [١٠٩ إلى ١١١] تتحدث عن إياك أن تشك في باطلهم، تتحدث عنهم، هم على باطل **مهما حققوا من إنجازات دنيوية فهم على باطل**، مهما حققوا من ترف فهم على باطل، يا رفاق معايير التقييم عندنا ليس الترف الدنيوي.

❖ ماهو النجاح الحقيقي إذا ؟

الخلافة التي سُمِّيت خلافة راشدة ليست هي الخلافة التي صنعت إنجازًا دنيويًا ضخمًا، الدولة الأُموية التي سُميت مُلْكًا عَضُوضًا حققت تقدمًا دنيويًا أكثر من الخلافة الراشدة، **الخلافة الراشدة هي التي يرتبط فيها الملك بالوحي والقرآن**، عندما يقتربان، نقترب من الرشد وعندما ينفصلان نتجه إلى الملك، أي عندما يقترب الوحي من الملك ويكونون معًا، هذا هو الراشد، اسمه خليفة راشد، هناك حديث في هذا وإن كان فيه ضعف، عندما ينفصلا هذا هو الملك، إذًا الرُشد في الخلافة التي اسمها الخلافة الراشدة.

عندما تنظر إلى الخلفاء الراشدين، تجد ثلاثة منهم قد ماتوا مقتولين، ويوجد فتن واضطرابات وسُمِّيَت راشدة لاقترابها من الوحي، لاقترابها من أُسس الوحي، **فنحن معايير التقييم لدينا ليست معاييرًا دُنيوية**، نعم يأتي تطبيق الشرع بخير عام لكن لا بد من مرحلة ابتلاء، وفي مرحلة الابتلاء يسقط كثير من الناس.

إذًا فالثلاث آيات التي بدأنا من عندهم الحديث:

- إياك أن تنشغل بباطلهم.
- إياك أن تعتقد أن ما معهم حق بل هو باطل.

وهم اختلفوا، والله بما يعملون خبير، أعمالهم سَتُوَفى إليهم يوم القيامة، هذا بالنسبة لهم.

فماذا بالنسبة لنا نحن؟ لا أهتم بهم ولا أنبهر بهم، لا أظن أنهم على حق، لا يحدث لي أي شك في الباطل الذي معهم، كل أعمالهم التي يفعلونها الله ﷻ مُطّلع عليها، كل الأعمال التي سيفعلونها سَتُوَفى إليهم يوم القيامة، كل هذا عنهم هم، ماذا عنا نحن؟

{**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}[هود ١١٢]، قيل أنها أشد آية في القرآن، وهذا اختيار بعض المفسرين أو هي من أشد الآيات في القرآن على كلام بعض المفسرين،

فبعضهم قال هذه أشد آية في القرآن بل بعضهم اختار أن **هذه الآية هي التي شَيّبَت النبي** ﷺ، هل تتخيل؟ هل تتخيل؟

استقم كما أمرت أنت، يمكن أن تتعامل معها، أين المشكلة؟ أين هي الصعوبة؟ الصعوبة أنك تحافظ على النفس مع كثرة الأذى، أنت بشر والنفس تحاول أن تخرج من هذه الأزمة، فطول الأزمة يجعل الإنسان أي فرصة خروج يمكن أن يقبل بها، أي فرصة.

لذلك الحسن البصري قال في شرحه لهذه الآيات: الدين بين لاءَين، "لا تركنوا" و"لا تطغوا"، أن تقف في المنتصف هذه هي الاستقامة.

❖ ماذا تعني استقم؟

أن تظل على هذا الخط المستقيم بالرغم من الرياح والزلزلة، صعب جدًا أن تقف على الخط {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة ٦]، طوال سَيْرَك على الصراط المستقيم تجد محاولات أن تتخطفك الطير {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ... }؛ يسقط مباشرة من على الصراط المستقيم {... خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج ٣١].

{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[الفاتحة ٧] أنت تريد أن تسير في المنتصف، تَفَرّقَت بهم الأهواء، تَفَرّقَت بهم السبل، على جَنبيّ الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة تنادي عليك -كل هذه آيات وأحاديث-.

كل ما حولك فتن تريد أن تصرفك عن السير في الصراط المستقيم، هذا الذي حولك غير أن نَفْسَك التي تريد أن تخرج أيضًا، النفس البشرية تريد أن تخرج من هذه الأزمة فتبحث عن أي مخرج لذلك ربنا قال في أول السورة {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ}[هود ١٢]، وقبلها في سورة يونس قالوا له {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ}[يونس ١٥]، وربنا قال له في سورة الإسراء {وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا}[الإسراء ٧٣]، لو تنازلت عن قليل من الوحي ستكون حبيبًا لهم.

لذلك القاعدة واضحة من آية سورة الإسراء، **عندما يتخذك أهل الباطل خليلًا، إذًا أنت قدمت التنازلات**؛ لأنني واثق في تمسكهم بباطلهم واثق في هذا، هو لن يتخلى عن الباطل، بالتالي عندما تصبح خليلًا له، فإما أنه أسلم أو أنك تنازلت.

{فاستقم}، لذلك هذه الفاء كثير من المفسرين وقف معها، هل هذه فاء تفريع يسمونها فاء فصيحة:

- فإذا علمت كل هذه المعلومات التي في السورة فعليك بالاستقامة.
- أو فإذا علمت أن الله قادر على إهلاكهم فعليك بالاستقامة.
- أو إذا علمت أن الأمم السابقة اختلفت على أنبياءهم وقد آذتهم فعليك بالاستقامة.
- أو إذا علمت أن الناس خلقهم الله منهم شقي وسعيد فعليك بالاستقامة.

أيًا كان المعنى الذي تُفرع عليه هذه الفاء من المعاني السابقة، الشاهد أنه من الممكن أن تجمع كل هذه الأقوال، وهذا قيمة أنك تقرأ السورة من الأول على مُكث، تأتي بسورة هود من الأول على مكث، تصلي بها بأكملها في ركعة واحدة، فإذا وصلت لـ {فاستقم}، فإذا تبينت لك كلُّ هذه العقائد في السورة **فعليك بالاستقامة**.

❖ ماذا تعني الاستقامة؟

أن تلزم الطريق المستقيم، لا تبحث عن أي مخرج إلا من الوحي، لذلك عندما تحدثنا في سورة يوسف قلنا إن يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، كلها تبدأ بـ {الر} ما عدا الرعد فيها زيادة ميم {المر}، وتقريبًا هذه السور غالبها من أواخر المرحلة المكية، **أن هناك طول فترة الاستضعاف ونحاول أن نخرج من الأزمة ومنتظرين شيئًا يحدث ولا نعلم ماذا سيحدث.**

- يونس: الضغط المستمر أن نبحث عن حل، هم يحاولون أن يضغطوا عليك {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا}، بالطبع سورة يونس أضخم من هذا وأكبر من هذا، أنا ألتقط فقط مشاهد.
- سورة هود: لا تَتْرك ولا تَركن.
- سورة يوسف: نموذج كيف قد يأتي الحل من حيث لا تحتسب.

أيضًا الله ﷻ هنا في سورة يوسف مراعاة للنفس البشرية التي ثبتت في هود، أنا سأظل ثابتًا، تخيل أنه كان يضغط عليك في أول سورة في سورة هود، يضغط عليك كي تترك بعض ما يوحى إليك، فختام السورة –وهذا دائمًا من عجائب القرآن– دائمًا الواحد منا ينبهر ببداية السورة وخواتمها.

تفقد حالك عند دخول السورة وحالك وأنت خارج منها :

مثلاً هنا **بداية سورة هود** محاولات للضغط أنه يترك بعض ما يوحى إليك، **الختام**: {اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} [هود ٩٣]، مفاصلة، هات أقصى ما لديك وأنا سآتي بأقصى ما لدي، {وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ} [هود ١٢٢]. ما هذا اليقين؟

فتجد مثلًا **سورة بدأت** بـ {فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ} [الأعراف ٢] ما هذه السورة؟ **الأعراف**، وفي **ختام السورة** {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا} [الأعراف ٢٠٤]، ففي أول السورة أنت من الممكن أن يكون في صدرك حرج من القرآن، آخر السورة لم تعد منشغلًا بهم بل تجلس وتستمع للقرآن تنتظر ما سيقول لك الوحي كي تنفذه.

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} [آل عمران ٨]، في **الأول** خائف أن قلبك يزيع، في **آخر آل عمران** {...اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...} [آل عمران ٢٠٠]، فممكن السورة تبدأ بمشكلة وتُحل من خلال أدوات وأنت لا تعلم كيف تُحل، لكن **أنت تسلم قلبك وروحك وعقلك للنص، ودر مع القرآن حيث دار** –الوصية المروية عن ابن مسعود.

كذلك مثلًا في **سورة الروم** {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم ٦٠]، إذًا لم تعد تُستَخف، **تخرج من سورة الروم** {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ} [الروم ٤٣] لم تعد تُستَخف، أصبح عندك يقينيات أو مركزيات هي أُسس.

لذلك أنت في سورة هود مثلًا مضغوط عليك، من أين ستأتي؟ {... أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ} [هود ٧٣]، أنت لا تدري من أين يمكن أن تأتي، وهذه في سورة هود { أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود ٨٠]، أنا أريد أحدًا أركن له يحل لي هذه الأزمة، لذلك { أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود ٨٠] جاءت في سورة هود –أنا آسف أنني أتنقل بين الآيات لكن هذا دور أن تكون حافظًا للسورة أو حافظًا للقرآن–.

{أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود ٨٠] سيدنا لوط قالها، العلماء اختلفوا عندما قال النبي ﷺ (يرحم الله أخي لوطًا، قد كان يأوي إلى ركن شديد)[٩]، فالعلماء اختلفوا في معنى الآية هل هذا نقد أو مدح؟

---

[٩] [عن أبي هريرة:] يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لقَدْ كانَ يَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ولو لَبِثْتُ في السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ أتانِي الدّاعِي لَأَجَبْتُهُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٣٨٧ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١)

سيدنا لوط لما قال {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً}[هود ٨٠] تشعر أنه في قمة الاستضعاف، جاءه الأضياف يضايفهم الباب يدق، وفي روايات أنهم يدفعون الباب وهو يدفع الباب وخائف أن يدخلوا لأنهم يريدون أن يقوموا بالفاحشة مع الأضياف، وهو منكر وهؤلاء أضايف ولا يعلم كيف يتصرف، ففي وسط الأزمة هذه قال {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً}[هود ٨٠] لو أنا عندي قوة أن أَدْفَعْكم، لكن ليس عندي قوة للأسف فالحل أني {...ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ}[هود ٨٠].

اختلاف العلماء في تفسير المأوي المقصود في السياق:

كثير من المفسرين قال أي ليس لي عشيرة ومَنَعَة، يا ليتني كان لي قوة أرجع لها في الأرض، الذي اختار هذا القول من المفسرين، قال عاتبه النبي ﷺ، قال إن الحديث –الحديث رواه البخاري ومسلم– معناه العتاب، قد كان ينبغي أن يأوي إلى الله في هذه الحالة، لذلك لاحظ المقارنة بين كلمة {أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ}[هود ٨٠] ، وبين {وَلَا تَرْكَنُوا}[هود ١٣٣] لا تبحث عن رُكْن تَرْكَن إليه عند الظالمين، أبدًا لن يعطوك شيئًا.

وقال بعضهم لا، هذا ليس بعتاب –هؤلاء كثير من شُرّاح الأحاديث– قالوا أن هذا مدح وأن لوطًا –عليه السلام– لما قال {أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ}[هود ٨٠] أي أني سآوي إلى الله وأن الله سيكفيني بإذن الله.

والذي اختار أن هذا عتاب قال أن الملائكة عاتبته، نظرت إليه فعاتبته فتكلمت في هذه اللحظة لما قال أو آوي إلى ركن شديد، ورأوا منه أنه قد كان يبحث عن أي ملجأ أو أي عشيرة فقالوا {قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ}[هود ٨١]، لا تبحث عن الحل في الأرض، الحل في السماء.

كيف تثبت علي الإستقامة ؟

فالشاهد أن في هذا الضغط أنك تظل على الاستقامة هذا صعب جدًا، ولن يضبط هذه النفس إلا الوحي؛ لأن العقل والنفس يمكن أن تفكر في حلول، فمثلًا ماذا إذا فعلنا كذا أو يمكننا أن نفعل كذا، من الذي قال أن هذه ثوابت؟

الوحي يضبط هذه النفس؛ لذلك لم يقل فاستقم وحسب بل {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[هود ١١٢]، ليس فاستقم كما ترى، استقم لأن هناك أوامر أنت مطالب أن تلتزم بها، أي أن **الاستقامة ليست بما تراه أنت**، هذه وسائل تطبيق الوحي، وهذه الوسائل فيها نوع من التغير ما لم تعد على الأصل ببطلان وما لم تصادم نصًا، هذه التي فيها تَغيّر، لكن عندنا ثوابت.

فالله عزَّ وجلَّ يقول له {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[هود ١١٢]، والخطاب هذا ليس للنبي ﷺ فقط {وَمَن تَابَ مَعَكَ}[هود ١١٢]، تعبير {وَمَن تَابَ}[هود ١١٢] تعبير عجيب جدًا ليس فاستقم كما أمرت مثلًا أنت والمسلمون، لا، ذَكَّرهم بالكفر، أنهم كانوا على كفر ثم تابوا، ذكرهم بنعمةِ الله عليهم.

قد يكون فيها إشارة كما استنقذكم الله من الكفر فاستنقذوا غيركم، أو اشكروا نعمة الله بإنقاذكم من الكفر، مَنّ الله عليكم وأنقذكم.

إذًا فأهل التوبة، أهل الدين، أهل الصلاح، يتذكرون هذه النعمة ويقومون بشكرها ويعملون، يتحرك يشكر هذه النعمة، نعمة أن مَنّ الله –عز وجل– عليه بالتوبة، لم يدخل الدين أو الالتزام أو الصلاح أو الإصلاح وبعدها جلس مكانه، لا، بل تحرك، اخرج من بيتك وتحرك لنصرة الدين {وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ}[النساء ١٠٠] ابذل لنصرة هذا الدين.

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ}[هود ١١٢] أحيانًا استشعار الاستقامة والمجهود الذي يبذله الإنسان للصلاح والإصلاح قد يصيبه بنوع من الطُغيان، يرى نفسه أحسن، يرى نفسه أفضل؛ فيطغى حتى على المخالف.

المعيار المضبوط : استقم لكن دون طغيان.

كلمة {وَلَا تَطْغَوْا}[هود ١١٢] كلمة محيرة جدًا جدًا، نحن نُضْرَب، وأنت تقرأ السورة تجدها كلها استضعاف، سيدنا شعيب، سيدنا لوط، وسيدنا هود وسيدنا نوح، السورة كلها استضعاف، حتى لم يأت مثلًا نموذج لفترة تمكين طويلة، ثم تأتي {وَلَا تَطْغَوْا ۚ }[هود ١١٢]، هل ممكن أن يطغى أحد في هذه الفترة؟

لذلك بعضهم قال لا تنسوا النعمة، وبعضهم قال لا تطغى على الكافر، يمكن أن تطغى على الكافر أو المخالف أنك تعاقبه بفوق العقوبة التي أمرك الله بها.

كما كنت أقول منذ قليل أن الاستضعاف ممكن أن يصنع نوعًا من التشوهات النفسية تُخْرِج الإنسان عن العبودية، يصبح انتقامًا فقط، لا، أنت عبد.

لذلك، هذه الآيات العجيبة جدًا التي نقرأها في سورة التوبة، تخيل معركة بين المسلمين والكفار، ثم حدث اشتباك بين المسلمين والكفار وجزء من الكفار قتل جزءًا من المسلمين، فتخيل واحد كافر في معركة مع المسلمين وهنا واحد مسلم، وهذا الكافر قتل أباه وأخاه وابنَه.

وبعد ذلك دخلوا معركة ثانية؛ فانتصر المسلم والكافر أسلم، فالله ﷻ يقول {إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ }[التوبة ١١] فقد يقول المسلم حينها: "إخواننا في الدين! كيف؟! لا طبعًا أقتله"، لكنه أسلم، "لا، قالها تَعوذًا".

سيدنا أسامة بن زيد أتى الكافر ضربه في يده، فلما أراد أن يضربه قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله –أشد المواقف التي عاتبه فيها النبي ﷺ قال يا رسول الله ﷺ قالها تَعوذًا، قال (هل شققت عن قلبه)[10].

هذا الحديث فعلًا حديث عجيب جدًا، هذا طبيعي أنه قالها تعوذًا، ألم يفكر أن يُسلم إلا عندما رأى السيف ونحن منذ عشر سنين نقول له أسلم؟

فإنك تضبط هذا صعب، أن تقف عند مراد الله، لا تتخطى حدود ربنا في التعامل مع المُخَالف أيًا كان مبتدع عاصي كافر أيًا كان، هناك حدود ليس بالهوى، الأمر ليس فيه هو هكذا، من أين أتيت بهذا الكلام، والتعامل كذا، ومن الذي قال أن التعامل هكذا؟

هذا ممكن أن يُوَلده طول فترة الاستضعاف، تجعل مجرد الشعور بالانتقام فقط بعيدًا عن الشعور بإقامة أمور الله، فالشرع في آيات أخرى قال {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ}[التوبة ١٥] الشرع ليس مُصَادمًا للفطرة،

[10] ما وقعَ منه صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم في معاقبتِهِ لمحمَّدِ بنِ مَسلمةَ، أو لأسامةَ بنِ زيدٍ على اختلافِ الرِّوايةِ لمّا قتلَ كافرًا تكلَّمَ بكلمةِ الشَّهادةِ عند رؤيةِ السَّيفِ، أو نحو هذه العبارةِ. فقال له: هل شَققتَ عن قَلبِهِ
الشوكاني (ت ١٢٥٥)، الفتح الرباني ٤٩٧٥/١٠ • القصة معروفة مشهورة

من الطبيعي أن تكون غاضبًا، وتتمنى أن تنتصر، و النبي ﷺ أخبرنا أن جبريل قال له (لو رأيتني يا محمد وأنا أدس الطين في فمِ فرعون مخافة أن تدركه الرحمة)[١١]، عندنا هذا التوازن موجود.

لكن الشاهد هو أسلم وانتهى الأمر، أصبح واقعًا أمامك، أنت مضطر أن تلتزم بالشرع، هو ما زال لم يسلم وأنت عندك غيظ من الذي أصابه بك، حقك أن تدعو عليه وأن تنتصر عليه، هذا حقك، لكن {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ} [النحل ١٢٦] ألا تتخطى، هذا مثل آيات خاتمة النحل وقيل كان فيها عتاب لبعض المسلمين لما أرادوا أن يَتَخَطوا ما أمرهم الله به، كانوا يريدون أن يفعلوا أشياء أكثر من التي فُعِلت، لا، بل تقف عند شرع الله ﷻ.

فكلمة (لا تطغوا) كلمة عجيبة جدًا في هذا السياق، وهذا من تمام الاستقامة.

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا} [هود ١١٢]

وأنك في هذا الوقت الله بصير بأعمالك {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود ١١٢]؛ أي أن الدافع الرئيسي الذي يحركك في أوقات الاستضعاف والتمكين أنك عبد، وأن الله يراك (أن تعبد الله كأنه يراك)[١٢]، أن تعبد الله أولاً كأنك تراه، (فإن لم تكن تراه، فإنه يراك).

{إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود ١١٢]

إذًا **الذي يثبتك**- في أي وضع أيًا كان- **أنك عبد تقوم بهذه العبودية، وأن الله بصير مطلع عليك.**

[١١] [عن عبدالله بن عباس:] لَمّا أَغْرَقَ اللَّهُ فرعونَ قال: آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ. فقال جَبْرَئِيلُ: يا مُحَمَّدُ لو رَأَيْتَنِي وأنا آخُذُ من حالِ البحرِ وأَدُسُّه في فِيهِ مَخافةَ أن تُدْرِكَه الرحمةُ
الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٣١٠٧ • حسن

[١٢] [عن أبي هريرة:] كانَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَوْمًا بارِزًا لِلنّاسِ، فأتاهُ رَجُلٌ، فقالَ: يا رَسولُ اللهِ، ما الإيمانُ؟ قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكِتابِهِ، ولِقائِهِ، ورُسُلِهِ، وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ الآخِرِ، قالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما الإسْلامُ؟ قالَ: الإسْلامُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، ولا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلاةَ المَكْتُوبَةَ، وتُؤَدِّيَ الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ قالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما الإحْسانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنَّكَ إنْ لا تَراهُ فإنَّه يَراكَ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَتى السّاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ، ولَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عن أشْراطِها: إذا ولَدَتِ الأمَةُ رَبَّها، فَذاكَ مِن أشْراطِها، وإذا كانَتِ العُراةُ الحُفاةُ رُؤُوسَ النّاسِ، فَذاكَ مِن أشْراطِها، وإذا تَطاوَلَ رِعاءُ البَهْمِ في البُنْيانِ، فَذاكَ مِن أشْراطِها في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلّا اللَّهُ، ثُمَّ تَلا صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: {إنَّ اللهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرْحامِ وما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا وما تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}. قالَ: ثُمَّ أدْبَرَ الرَّجُلُ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ، فأخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شيئًا، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: هذا جِبْرِيلُ جاءَ لِيُعَلِّمَ النّاسَ دِينَهُمْ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٩ • [صحيح]

الواجب الثاني: عدم الخضوع والإذعان لأهل الباطل

{فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ * وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}[هود ١١٢-١١٣]

إذًا فالاستقامة بين لاءين:

- بين {لَا تَطۡغَوۡاْ}[هود ١١٢] أي: تقف في المنتصف، لا تعاقب بعقوبة أعلى؛ لا تتخطى الحدود التي وضعها الله ﷻ.
- وفي نفس الوقت {لَا تَرۡكَنُوٓاْ}[هود ١١٣]؛ فمثلًا تقول لواحد تعامل بالإنصاف؛ لا تُكفّر المخالف طالما هو لم يقع في فعل مكفر بعد بينة، التزم شرع الله في التعامل، فتظل تعطي له ضوابط حتى لا يذهب عند الطغيان، فتجده ذهب وارتمى في كنف الظالم!

فتقول هل حين أقول لك {لَا تَطۡغَوۡاْ} معناه أن تذهب للناحية الأخرى؟ بل الزم المنتصف.

{فَٱسۡتَقِمۡ}، {وَلَا تَطۡغَوۡاْ}، {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ}.

وتعبير {تَرۡكَنُوٓاْ}[هود ١١٣] تعبير عجيب جدًا، وهذا ما جعل المفسرين يتساءلون ما معنى {تَرۡكَنُوٓاْ}؟

بعضهم قال: "هو أقل الميل" هذا اختيار الزمخشري -هو كان شخصية ثورية، وغالب المعتزلة هكذا- وبعضهم أنكر عليه وقال: "هذا لا يُعرف في اللغة".

المهم أنه قال "هو أقل الميل"، وورد عن بعض التابعين، وورد أظن عن ابن زيد أن الخطاب بمعنى الميل، وابن كثير استحسنه، بل قال ابن كثير: "لا تستعينوا بالظالمين، فيُفهم أنكم ترضون بباقي صنيعهم"؛ أي رغم أنك ذاهب لتساعده أو ليساعدك هو في شيء آخر، فقد يُفهم أنك راضٍ بباقي الصنيع.

ولذلك اختلف المفسرون في معنى {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ}[هود ١١٣] هل لا تشرك مثله؟ أم لا ترضى بعمله؟ أم هل لا تنكر عليه؟ وهذا تحتاج أن تضبطه من عموم الشريعة، لا تُأخذ من الآية الواحدة، وهو ما يُسمى "جمع النصوص في المسألة الواحدة".

الخلاصة أنه لا يظهر منك الرضا على فعله وأن تنكر مع القدرة، فإذا زالت القدرة زال الإنكار. إن كان لا يوجد قدرة إذًا لا يوجد إنكار، لكن يبقى أن تبغض ذلك، أن لا ترضى، وأن لا تُظهر الرضا طالما

تستطيع أن لا تفعل ذلك. هذه هي الخلاصة ومن أراد أن يرجع للتفصيل، فليرجع لقضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضوابطها ..إلخ.

لكن الخلاصة أنه **لا يشترط على كل إنسان أن ينكر، بل الأمر مقيَّد بالقدرة**؛ الإنكار مقيد بالقدرة، إذا سقطت القدرة لا يُشترط، بل يُستحب له –بضوابطه– ، ما لم يَعُود على الغير بضرر عام أو غير ذلك.

لكن ما الخلاصة؟ {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ}[هود ١١٣]؛ أي لا يظل بداخلك الاعتقاد أنك تعتمد عليه، فحين تطول فترة الاستضعاف وتمكث في أزمة، تريد الركن والركن مثل العمود، ولذلك نقول أركان الإسلام، فالركن هذا عمود.

أنت معتقد أنك تعتمد عليه، أنك تركن إليه، والذي يركن هذا يميل عن الاستقامة، ويريد أن يحل له ذلك الظالم مشكلته، يريد أن يتنازل عن قضيته والظالم هذا الذي يحل له هذه القضية.

هو لن يحل لك قضيتك. لن يحمل قضيتك إلا أنت، فحين تركن إليه، ربنا يقول لك أنت بحثت عن من يتولى قضيتك وذهبت إليه، فخسرت كل الأولياء {وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}[هود ١١٣].

الذي يعتقد أنه ينصر قضيته عن طريق الركون إلى الظالمين سيُخدع مثلما خُدع من قبله، هو سوف يُستعمل في منطقة معينة بعدها يُرمى ويُكمِل الظالم طريقه!

إياك أن تعتقد أن الركون إلى الظالمين سوف يحل لك المشكلة، واقرؤوا التاريخ والحاضر.

لذلك الاستقامة هي: {وَلَا تَطۡغَوۡاْ ..... وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ}[هود ١١٢-١١٣] لدرجة أن بعض المفسرين قال أنه لم يقل ربنا ((لا تركنوا إلى الظالمين)) بل قال {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ}[هود ١١٣]

فما الفارق بين الظالم المستقر في الظلم و((الذين ظلموا))؟

- الذين ظلموا: قد يكونون غير مستقرين في الظلم، لكن تتكرر منهم بعض أفعال الظلم، فحتى هذا لا تركن إليه.

الله ﷺ ينظر إلي قلوبنا، **مسألة أن يطلع الله عليك ويجدك تبحث عن ركن شديد غيره في الأزمات، فهذه هي الخطورة.**

نحن قلنا أن هذا لب سورة يوسف: أنه **مهما تعرضت لأزمة، يظل القلب متعلق بالله** {وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ}[يوسف ٢١]، فهذا هو المعنى المحوري الذي في سورة يوسف، وحتى مع الضغوطات {حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ}[سوف ١١٠] يظل القلب متعلقًا بالله، هذا هو المعنى المحوري المهم في وقت الأزمة وفي وقت الاستضعاف.

وعموم سور "ألف لام راء"كلها تصب في هذا المعنى بل وعموم السور وعموم القرآن أصلًا، فهذا معنى محوري: ((**تعلق القلب بالله**))، لكن لا سيما في طول فترة الأزمة أو طول فترة الاستضعاف.

إذًا {وَلَا تَطۡغَوۡا ... وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ}[هود ١١٢-١١٣]: مجرد الميل –لو أخذنا القول بأن الإنسان يركن بمعنى الميل البسيط– أول ما يبدأ في الركون، يبدأ مس النار، والزيادة في الركون زيادة في النار {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ}[هود ١١٣]، هذا في الآخرة وأما في الدنيا فلن يحقق لك مرادك.

لا مجال للتنازل فالدين لا يتجزأ

لذلك من الاعتقادات المتوهمة أن الحل أن نتنازل عن أجزاء من الدين، وهذا اعتقاد متوهم يتكرر كثيرًا ثم يظهر فساده، فكل حين يتكرر مفهوم أن الحل أننا ((نعلمن الإسلام ونلبرل الإسلام)) –من العلمانية والليبرالية– أو نفعل كذا أو كذا في الإسلام .. ثم في النهاية نفشل، ثم يأتي ناس آخرون يقولون دعونا نتنازل عن كذا!

لا، **هناك أسس لا يصلح التنازل عنها**، وهذا التوازن ليس معناه أنه لا يوجد القدرة أو تدرج، فهذا موجود لكن الفكرة في تأصيلك، لا تتنازل.

النبي ﷺ كان باستطاعته فعل هذا في بداية مكة، لكن من البداية كان هناك وضوح {لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ}[الكفرون ٦]. هناك أجزاء فيها نوع من المفارقات الواضحة في أصول هذا الدين.

إذًا الشاهد أن الاستقامة صعبة، والواقع صعب، ولا يجوز أن تترك بعض ما يوحى إليك، ولا يجوز أن تطغى ولا يجوز أن تركن، فكيف أثبت؟ فأنا – كبشر– أحتاج إلى طاقة!

الإستقامة ليست بالأمر السهل، إذا كيف السبيل إلي الثبات؟؟

الثبات –ركزوا معي في هذه القاعدة– **ليس معرفيًا**؛ بمعنى أنه ليس قواعد تذاكرها أو تحصلها، **بل الثبات إيمان**، مثل الخشوع؛ فالخشوع في الصلاة ليس عضلات، بل هي حالة معينة تكون فيها.

فالثبات بين كل ذلك: لا تترك بعض ما يوحى إليك، {وَلَا تَطۡغَوۡا}[هود ١١٢]، {وَلَا تَرۡكَنُوٓا}[هود ١١٣] ولا تميل، {فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ}[هود ١٠٩]... كل الأوامر الموجودة في السورة، كل هذه اللاءات الموجودة في السورة معناها أنك تحتاج إلى زاد... فتأتي {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ}[هود ١١٤].

الثبات يكون بتلقي معاني الإيمان في الصلاة {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ}[هود ١١٤] نفس أيضًا –سبحان الله– سياق سورة الإسراء، حين تعود إلى السياق تجد: {وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا}[الإسراء ٧٣] .. {وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا}[الإسراء ٦٧] ثم تجد كيف أثبت؟ هم يحاولون أن يضغطوا علي لكي أتنازل ، وقال لك الله لو تنازلت: {إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ}[الإسراء ٧٥] فكيف أثبت إذًا؟

{أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا * وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا}[الإسراء ٧٨-٧٩].

إذًا أنا أولًا أستمد المعاني من الصلاة وتلقي الوحي من خلال الصلاة فهذه معاني الإيمان، وبعدها الدعاء والتضرع {وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا}[الإسراء ٨٠] وبعدها {وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ}[الإسراء ٨١].

ولكن نحن ما زلنا في مكة من المستضعفين {وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا}[الإسراء ٨١] جاء الحق وزهق الباطل كيف؟ لأنك ثبت.

أن تموت على عقيدتك، هذا هو النجاح!

لما طعن الحرام بن ملحان قال: "فزت ورب الكعبة"!

❖ كيف هذا؟

هذا مثلما تكلمنا المرة السابقة مثلًا في مفهوم العقل، وقلنا كن عاقلًا، فهنا ما هو مفهوم الفوز؟ ما هو مفهوم الثبات؟ فلذلك بعد أن قال ربنا {فَٱسۡتَقِمۡ}... {وَلَا تَطۡغَوۡا}.. {وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ}؛ يكون السؤال: من أين آتي بالزاد؟ {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ}[هود ١١٤].

ومن أهم طرق الثبات الإبتعاد عن المثالية، أعترف بكونك بشر وتُخطئ

وأنت في طريقك ستخطئ؛ لذا التصور المثالي عن الإصلاح هذا عليك أن تنساه! لأنك ببساطة سوف تخطئ، لذلك أؤكد على مسألة الإيغال والولع بنقد العاملين للدين على الملأ. أنا قلت أن النقد هذا مفيد لكي لا نكرر نفس التجارب البائسة، لكن الإيغال وعدم اعتبار النوايا الطيبة وعدم احترامها وعدم شكر الجهود، فهذا هو الخطأ! أنت تعترف أنه أخطأ أصلًا، فأنت حين تقول {رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا} تعترف بخطئك... ثم تقول: {وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ}[الحشر ١٠] تعترف أنهم أخطأوا، وتدعو الله أن يغفر لهم.

هذا معناه أنك تعرف خطأهم وتبينه جيدًا، و-إن شاء الله- تنوي تجنبه، لكنك تدعو لهم بالمغفرة.

فعليك أن تفهم: {إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ}[هود ١١٤]، وإن كانت الآية تستطيع أن تقرأ في أسباب نزولها أو توجيهها الآخر حين استشهد النبي ﷺ بالآية عندما جاءه رجل وقال أنه قبّل امرأة "هل لي من توبة"؟، فالنبي ﷺ سكت حتى نزل عليه قول الله ﷻ: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ}[هود ١١٤] فالرجل سأل: "هل لي خاصة أم للناس عامة"، فقال ﷺ:(للناس عامة)[١٣].

[١٣] [عن كعب بن عمرو:] أَتَتْني امرأةٌ تَبْتاعُ تَمرًا، فقلتُ: إنَّ في البيتِ تَمرًا أَطْيَبَ منه، فدَخَلَتْ مَعِي في البيتِ، فأَهْوَيْتُ إليها، فقَبَّلْتُها، فأَتَيْتُ أبا بكرٍ، فذَكَرْتُ ذلك له؟ قال: اسْتُرْ على نَفْسِكَ وتُبْ، ولا تُخْبِرْ أحدًا، فلم أَصْبِرْ، فأَتَيْتُ عمرَ، فذَكَرْتُ ذلك له؟ فقال اسْتُرْ على نَفْسِكَ وتُبْ، ولا تُخْبِرْ أحدًا، فلم أَصْبِرْ، فأَتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فذَكَرْتُ له؟ فقال: أَخَلَفْتَ غازيًا في سبيلِ اللهِ في أهلِه بِمِثْلِ هذا، حتى تَمَنّى أنه لم يَكُنْ أَسْلَمَ إلا تلك الساعةَ، حتى ظَنَّ أنه من أهلِ النارِ. قال: وأَطْرَقَ رسولُ اللهِ ﷺ طويلًا حتى أُوحِيَ إليه: وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذَلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ. قال أَبُو الْيَسَرِ: فأَتَيْتُه، فقرأها عَلَيَّ رسولُ اللهِ ﷺ، فقال أصحابُه: يا رسولَ اللهِ، أَلِهَذا خاصَّةً أم للناسِ عامَّةً؟ قال: بل للناسِ عامَّةً
الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٣١١٥ • حسن صحيح • أخرجه الترمذي (٣١١٥)

فنحن نأخذها على المعنى الواسع مع السياق، وبتعبير ابن عطية: المعنى المذكور هذا أجنبي عن السياق، لكن ممكن يفهم ويفيدنا في معنى خاص في الشريعة: أن الذي يخطئ أو يعصي أو يقع في فاحشة لا يقنط من رحمة الله مهما وقع في فاحشة، وعليه أن يرجع ويتوب، ومن وسائل التوبة أن يكثر من الصلاة.

الصلاة التي هي صلةٌ بين العبد وربه هي خير زاد له وخير معين علي الثبات.

لكن نرجع لسياق الآيات معنا هنا: أن **الثبات يحتاج إلى زاد من الصلاة**، وأنت عندك زاد من الصلاة وتتحرك ستخطئ، فتكرر الصلاة {إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ} [هود ١١٤].

إذًا بدأت الصفحة الأخيرة من ختام سورة هود:

- كن على يقين، وإياك أن تشك في باطلهم.
- لا تنشغل بهم؛ الله بما يعملون خبير.
- ما حدث وقع مع النبيين من قبل.
- {فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ}، الاستقامة بين لاءين {وَلَا تَطْغَوْا... وَلَا تَرْكَنُوٓا}.
- تريد زادًا... إذًا عليك بالصلاة.
- ستخطئ.. إذًا أكثر من الحسنات يذهبن السيئات.

فإذا أخطأت في موقف، هل أترك كل شيء، وأظل ساكنًا، وأقول انتهى الأمر أنا أخطأت ولا يوجد أمل؟ لا، بل (اتبع السيئة الحسنة تمحها)[14]؛ إذًا الحل ليس أنك أخطأت فتظل واقعًا في الخطأ {إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ} [هود ١١٤].

هناك معنى دائمًا ما يأتي كثيرًا في السور المكية، والناس لا تعي هذا المعنى وهو: **اصبر**.

❖ ماذا معنى أن أصبر؟

[14] [عن معاذ بن جبل:] يا رسولَ اللهِ، أَوصِني، قال: اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ -أو أينما كنتَ- قال: زِدْني، قال: أتبِعِ السَّيِّئةَ الحَسنةَ تَمْحُها، قال: زِدْني، قال: خالِقِ النّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ.
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ٢٢٠٥٩ • حسن • أخرجه الترمذي بعد حديث (١٩٨٧)، وأحمد (٢٢٠٥٩) واللفظ له

المشكلة دائمًا أنه حينما تطول فترة الاستضعاف يكون عندنا تصور خاطئ، فتجد من يقول: أنا أريد حلًا عمليًا، أريد خطة عملية محكمة أتحرك من خلالها، خطة أول ما أنفذها يتغير الواقع بعدها مباشرة!

المشكلة دائمًا– مثلما تكلمت في "إشكالية التفكير الهندسي" – أن أحيانا –بدون قصد– تنتقل لنا المعايير الدنيوية ونحن لا ننتبه!

فمثلًا في أعمال الدنيا، إذا قام بعمل ما ولم يُخرج له نقودًا، إذًا هذا فشل، إذًا أنت أخطأت في شيء فأصلحه وسوف تخرج نقودًا، كل شيء عنده يسير وفق قاعدة: كم يعطيني كم؟ وهذا أخرج كم مثلًا؟ حتى الذي يتعامل مع أهل الدين هكذا... يقول لك كم شخص سمعه؟ تغير كم شخص؟ أسلم كم شخص؟ انتشر له كم مشاهدة؟ كم متابع؟ دائمًا ما يسأل عن الكم، فانتقل عنده التفكير الدنيوي إلى الدين!

هو ربما لا يفهم مثلًا (والنبي ليس معه أحد)[١٥]، فهذا قد يحدث أو قد تأتي فترة لا توجد فيها أي وسيلة متاحة لتقوم بها، كل ما تفعله أنك ثابت على ما تقوم به.

[١٥] [عن أبي بكر الصديق:] نَعَمْ ؛ عُرِضَ عليَّ ما هو كائِنٌ من أَمْرِ الدنيا وأَمْرِ الآخرةِ فَجُمِعَ الأولونَ والآخرونَ بِصَعِيدٍ واحِدٍ ، حتى انْطَلَقُوا إلى آدمَ عليهِ السلامُ والعَرَقُ يَكادُ يُلْجِمُهُمْ ، فَقَالوا : يا آدَمُ ! أنتَ أبو البَشَرِ اصْطَفَاكَ اللهُ ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ فقال قد لَقِيتُ مِثْلَ الذي لَقِيتُمْ ، انْطَلِقُوا إلى أَبيكُمْ بعدَ أَبيكُمْ ؛ إلى نُوحٍ (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدمَ ونُوحًا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْرَانَ على العالَمِينَ (فَيَنْطَلِقُونَ إلى نُوحٍ عليهِ السلامُ ، فيقولونَ : اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ ؛ فإنَّهُ اصْطَفَاكَ اللهُ ، واسْتَجَابَ لكَ في دُعائِكَ ، فلمْ يَدَعْ على الأرضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا فيقولُ : ليس ذَاكُمْ عِندي ، فانْطَلِقُوا إلى إبراهيمَ ؛ فإنَّ اللهَ اتَّخذَهُ خليلًا فَيَنْطَلِقُونَ إلى إبراهيمَ عليهِ السلامُ فيقولُ : ليس ذَاكُمْ عِندي ، فانْطَلِقُوا إلى مُوسَى ؛ فإنَّ اللهَ (قد) كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا . فَيَنْطَلِقُونَ إلى مُوسَى عليهِ السلامُ فيقولُ : ليس ذَاكُمْ عندَي ، ولَكِنِ انْطَلِقُوا إلى عِيسَى ابنِ مريمَ ؛ فإنَّهُ كان يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ، ويُحيي المَوْتَى ، فيقولُ عِيسَى : ليس ذَاكُمْ عندي ولَكِنِ انْطَلِقُوا إلى سيدِ ولَدِ آدمَ ؛ فإنَّهُ أولُ مَنْ تَنْشَقُّ عنهُ الأرضُ يومَ القيامةِ ، انْطَلِقُوا إلى محمدٍ فلِيشفعْ لَكُمْ إلى ربِّكُمْ قال : فينطلقونَ إلَيَّ ، وآتِي جبريلَ ، فيأتي جبريلُ رَبَّهُ فيقولُ : ائْذَنْ لهُ ، وبَشِّرْهُ بِالجنةِ قال : فَيَنْطَلِقُ بهِ جبريلُ فَيَخِرُّ ساجِدًا قدرَ جُمُعَةٍ ، ثُمَّ يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى : يا محمدُ ! ارفعْ رأسَكَ ، وقُلْ تسمَعْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ فَيَرْفَعُ رأسَهُ ، فإذا نظرَ إلى رَبِّهِ خَرَّ ساجِدًا قدرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى ، فيقولُ اللهُ : يا محمدُ ! ارفعْ رأسَكَ وقُلْ تسمَعْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ فَيَذْهَبُ لِيَقَعَ ساجِدًا ، فيأخذُ جبريلُ بِضَبْعَيْهِ ويَفْتَحُ اللهُ عليهِ مِنَ الدعاءِ ما لَمْ يَفْتَحْ على بَشَرٍ قطُّ ، فيقولُ أَيْ رَبِّ ! جعلتني سَيِّدَ ولَدِ آدمَ ولا فَخْرَ ، وأولَ مَنْ تَنْشَقُّ عنهُ الأرضُ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ ، حتى أَنَّهُ لَيَرِدُ عليَّ الحَوْضِ أَكْثَرُ مابينَ (صَنْعَاءَ) (وأَيْلَةَ) ثُمَّ يقالُ ادعُوا الصِّدِّيقِينَ ، فَيَشْفَعُونَ ، ثُمَّ يقالُ : ادعُوا الأَنْبياءَ فَيَجِيءُ النبيُّ مَعَهُ العِصابَةُ ، والنبيُّ مَعَهُ الخَمسَةُ والسِّتَّةُ والنبيُّ (ليس) مَعه أحدٌ ، ثُمَّ يقالُ : ادعُوا الشُّهَدَاءَ فَيَشْفَعُونَ فيمَنْ أَرَادُوا ، فإذا فعلَتِ الشُّهَدَاءُ ذلكَ يقولُ اللهُ جَلَّ وعَلا : أنا أَرحمُ الراحمينَ ، أَدْخِلوا جَنَّتِي مَنْ كان لا يُشْرِكُ بي شيئًا ، فَيَدْخُلونَ الجنةَ ثُمَّ يقولُ اللهُ تعالى : انظُروا في النارِ ؛ هل فيها من أَحَدٍ عَمِلَ خيرًا قطُّ ؟ فَيَجِدُونَ في النارِ رجلًا ، فيقالُ لهُ : هل عَمِلْتُ خيرًا قطُّ ؟ فيقولُ : لا ، غيرَ أَنِّي كُنْتُ أُسامِحُ الناسَ في البَيْعِ ، فيقولُ اللهُ : اسْمَحُوا لعبدي كَإِسْماحِهِ إلى عَبيدِي ثُمَّ يخرجُ مِنَ النارِ آخَرُ ، فيقالُ لهُ هل عَمِلْتَ خيرًا قطُّ ؟ فيقولُ : لا غيرَ أَنِّي كُنْتُ أَمَرْتُ ولَدِي : إذا مِتُّ فَاحْرِقُونِي بالنارِ ثُمَّ اطْحَنُونِي ، حتى إذا كُنْتُ مِثْلَ الكُحْلِ اذْهَبُوا بي إلى البَحْرِ فَذُرُّونِي في الرِّيحِ ، فقال اللهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذلكَ ؟ قال : من مَخَافَتِكَ فيقولُ : انظرْ إلى مُلْكِ أَعْظَمِ مُلْكٍ فإنَّ لكَ مِثْلَهُ وعشرَةُ أَمْثَالِهِ فيقولُ لِمَ تَسْخَرُ بي وأنتَ المَلِكُ ؟ فَذلكَ الذي ضَحِكْتُ مِنْهُ مِنَ الضُّحَى
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ٣٦٤١ • حسن

لذلك قول الله -سبحانه وتعالى- والشيخ السعدي أبدع في تفسيره لهذه الآيات، ارجعوا لها في سورة النساء تفسير السعدي، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ} [النساء ٧٧] كانوا يعيشون في وضع معين في مكة لدرجة أن بعضهم قال أن في عشرات المرات -ليس مرة واحدة أو مرتين بل عشرات المرات- طلب بعض المسلمين في مكة طلب أن يقاتل، وفي كل مرة كان يقال لهم: اصبروا.

فأن تنشغل بالأشياء غير المتاحة، فهذا يؤثر على فعل المتاح. انتبه معي، أن يكون عقلك ونفسيتك وذهنك مشغولين بالفرص غير المتاحة، هذا يجعلك دائمًا متشوفًا لها، ورافضًا وكارهًا ومستحقرًا الأمور الموجودة المتاحة، حتى إذا انجلت الأزمة وطُلب منك شيء كان المفترض أن تُحصّل له الزاد الذي طلب منك وقت الاستضعاف، وأنت لم تحصله.

وهذا يحدث كثيرًا؛ أن تقول للشخص ركز في بناء نفسك، أنت لا تعرف ماذا سوف يحدث، متى سوف يُحتاج إليك، استمر في البناء مع العطاء والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استمر داخل هذه الجمرة التي تمسكها.

وقلنا في درس "**القرار الثاني**": لا تلقها، استمر داخل هذه المنظومة، فأنت لا تعرف متى يُحتاج لك، قد يحدث انفتاح فجأة وحينها يقول: أنا غير جاهز!

إذًا امكث مكانك، غيرك جاهز سيدخل هو، وأنت ظلّ قاعدًا!

فأن تنشغل ويظل ذهنك دائمًا مشغولًا بالأمور غير المتاحة، هذا يجعلك تنصرف ذهنيًا عن أنك مطالب بعمل شيء الآن وحالًا، وهذا ما نسميه دائما: واجب الوقت.

لذلك هناك كتب تكلمت عن: ما هو واجب الوقت في المرحلة المكية؟ حاولت هذه الكتب أن تستخلص العبوديات التي كانت موجودة في مكة، وهل كلها كانت مجرد عقائد؟ هل كان لا يوجد أعمال؟ فكرة القدرة، وما هي مساحتها؟ لذلك ظهر أبحاث نستفيد منها في واقعنا الآن: السياسة الشرعية في وقت الاستضعاف والتمكين، الواجب والممكن، ما هو الواجب وما هو الممكن؟ وما هي الدائرة التي نستطيع أن نصل لها؟

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ * وَٱصۡبِرۡ}[هود ١١٤]

❖ ما معنى { وَٱصۡبِرۡ }؟ هل من الممكن أن يستمر الوضع هكذا فترة؟

نعم من الممكن أن يستمر هكذا فترة، إذًا فماذا أفعل؟ تفعل ما تفعله وتظل ثابتًا عليه؛ لا يحصل تغيير؛ فأنا ثابت على الوحي، ثابت على الدعوة، ثابت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثابت على الحمية التي بداخلك، ولا تنطفئ، مستمر في دعوة المشركين، أنا ثابت على هذا، لكن ظاهريًا الواقع كما هو؛ أعداد المسلمين كما هي، وأعداد المشركين تزداد، الخريطة الإسلامية -كما هي- ثابتة ولا يوجد تغير بها، فماذا أفعل؟

لا تترك ثغرك، لا تكن أنت سبب في الإنهيار

اصبر؛ طالما أن ما تفعله أنت موقن به، وهذا وحي - ليس شيئًا اجتهاديًا-؛ أي أن ما تفعله ليست أشياء تحتاج إلى إعادة تفكير، بل أشياء يجب أن تفعلها، فلا يأتي أحد في الأزمة ويترك مثلًا الدعوة أو قيام الليل أو استمراره في البناء.

بل **هذه من الأسس التي لا تُترك أيًا كان الوضع**، فليس فيها مراجعات، هناك بعض الوسائل تستطيع أن تراجعها، مثلاً أنك أخطأت، أنك غيرت، أنه كان هناك أولويات معينة، هذه من الممكن أن تراجعها، لكن لابد أن تصبر، ولا تحتقر أبدًا مجهودك... أبدًا..

المشكلة دائمًا أننا نتصور أن عملية التغيير الكبيرة تحصل بأفعال ضخمة كبيرة مرتبة فوق بعضها، هذه فقط أحد وسائل التغيير.

نظرية الفراشة:

كنت قد سمعت مقطعًا جميلًا للأخ عبد الكريم الدخين -جزاه الله خيرًا- عبر "دردشة" على اليوتيوب بعنوان "نظرية الفراشة" وهي نظرية معروفة؛ أنه إذا تحركت فراشة في أقصى الجنوب مثلًا في أفريقيا نتيجة سقوط ورقة شجر، تأثير هذه الحركة في الهواء قد يؤدي إلي حدوث فيضان أو شيء ضخم في الطرف المقابل من الكرة الأرضية.

وكان واضع هذه النظرية– ومن يريد الرجوع لها بإمكانه أن يبحث عنها– يقول أنه يستحيل فكرة التنبؤ التام بالطقس الجوي، وأن هذه كلها محاولات للوصول، ولكن قد يقوم حدث معين لا تفهم تبعاته بعمل قضايا تراكمية –ونحن لا ننتبه– ويقوم بعمل حدث ضخم من الناحية الأخرى.

فقام بإسقاط جميل أعجبني مفاده أن لا تحتقر أعمالك، وأتى بأمثلة عن أحداث ضخمة مثل الحرب العالمية الثانية، وقد كانت أحداثًا ضخمة، وحدث على تبعاتها تغيرات في خريطة الكرة الأرضية بسبب أن واحدًا مثلًا تحمس فقتل زوجة أحد مثل ملك النمسا، وأن المشكلة كلها أن أحدًا ما تحمس، وقتل شخصًا في النمسا، فحدثت الحرب العالمية.

بمعنى أنه قد يحدث أن يتحمس شخص، أو يحدث موقف بسيط جدًا –كان من الممكن أن يمر مرور الكرام– لكن بترتيب وبقدر من الله عز وجل يترتب عليه أحداث عظيمة.

لأن الله يزرع لهذا الدين كل الخلافات التي حدثت بين الروم والفرس وإنهاك القوى الذي حدث بينهم بترتيب من الله –عز وجل– كان لتهيئة مجيء الخلافة الإسلامية.

فحين تقرأ {غُلِبَتِ ٱلرُّومُ}[الروم ٢] –وهذه الآيات مكية– والروم تنتصر، وبعد ذلك الروم تعاود محاربة الفرس فتنتصر، ويحدث لكليهما –الفرس والروم– نوع من الإنهاك، وأنه من قبل هذا أصلًا حضارتان كبيرتان مثل حضارة فارس والروم تزهدان في جزيرة العرب ولا أحد يحتلها؛ يروِنها صحراوية، فيها نوع من البداوة، غير مثقفين، لا يدرسون فلسفة الإغريق، مهتمون مثلاً بالأصنام، عندهم نوع من القداسة في الكعبة.

فكان هناك نوع من الزهد من حضارات فارس والروم لجزيرة العرب، ثم تأتي البعثة في هذا المكان، وأنه حينما ينتقل رسول الله ﷺ للمدينة، يكون فيها يهود وليس نصارى مثلًا.

وبعض الكتب في السيرة تذكر أن وجود اليهود في المدينة كان له حكمة؛ إذ أن اليهود دائمًا يحبون أن يكونوا منغلقين على أنفسهم –غير النصارى والدعوة بالتبشير– فعند اليهود لا يستطيع أي شخص أن يصبح يهوديًا بسهولة؛ فهناك نوع من الانغلاق، وعندهم نوع من ربط الدين بالعرق، نوع من التمييز العرقي، النسل الخاص بهم وأن هذا أفضل نسل، فكان من في المدينة يكرهونهم، ولذلك نجحت الدعوة في المدينة، ولم تنجح في الحبشة؛ يعني الدعوة اصطفاء من الله أنها كانت في المدينة، ولم تكن في الحبشة.

الشاهد أن **هناك أقدارًا تحدث أنت لا تعرفها**، **فإياك أن تحتقر كلمة تقوم بها مطلوبة منك، أو فعل تقوم به**، أو طفل تربيه.

لا تحقرن من المعروف شيئا:

تخيل مثلًا الراهب –في قصة غلام الأخدود– ترك لهم كل شيء، وكان الساحر قديمًا من جماعة الراهب، وهذا الراهب ترك الملك الظالم، وترك الساحر، وانعزل عن الناس؛ فهؤلاء الناس لا يوجد فيهم أمل، وليس لديه قدرة على التغيير، فماذا يفعل؟ انعزل في كهف، مر عليه غلام فقال له: علمني، كان من الممكن أن يفكر: وبعد أن أعلمه، ماذا سيحدث؟ وكان من الممكن أن يقول له: اذهب يا بني؛ فكل من علمناهم قبلك انتكسوا، اذهب.. **ولكنه علمه**، ظل يعلمه التوحيد والأصول، رغم أن الغلام الذي جاءه يذهب أيضًا للساحر، فلم يقل متأففًا: أستغفر الله العظيم، يا رب حتى هذا الغلام لا يأتي إليّ فقط بل يذهب أيضًا إلى الساحر، حتى هذا الغلام كان غير خالصًا له.

ومع ذلك قال له: **سوف أعلمك**، ثم يقول له أبي يضربني لأنني آتي لك، وحتى حينها لم يقل له: اذهب يابني فقد كنت منعزلًا وحدي، ولكن قال: إذا خشيت، لم يتوقع أبدًا أن ما حدث كان من الممكن أن يحدث!

حتى عندما جاءت لحظة وتحرك بهذا، وبدأ يشعر أنه ملهم والله يجري بعض الكرامات عليه، فقال له: اليوم أنت أفضل مني، **لم ينافسه** ولم يقل له: كيف تفعل هذه الأشياء ،أنا الذي قلت لك ،أنا علمتك، قل لي كيف تشفي الناس فعليك أن ترد لي الجميل، أنا سأنزل معك، هذا الرجل لم يحتقر عمله بل كان منصفًا من نفسه قال له: أنت اليوم أفضل مني ،بل حتى عندما دل الغلام على الراهب و الراهب يقتل لم يعاتبه، مع أن الراهب قتل بسبب دلالة الغلام عليه.

تخيل مشهد موت الراهب والغلام ممسوك والغلام قال: هذا هو الذي قال لي، الراهب ميت ولا يعلم ما الذي سيحدث للغلام، فأنت **إذا فكرت بهذه الطريقة –أنك تشترط أن ترى النتيجة في حياتك– لن تفعل في حياتك أي شيء**.

الشاهد أنه إياك أن تحتقر أي فعل تقوم به، اصبر إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ابذل أقصى ما في وسعك، المهم أن تكون محسنًا فيما تفعل، حينها ما على المحسنين من سبيل مثلما قال الله في سورة التوبة، وليس عليهم شيء هم فعلوا كل ما بوسعهم.

الدعوة يمكن أن تدفع نزول غضب الله

{فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ}[هود ١١٦] يقول الله ﷻ في ختام السورة فهلا كان من القرون –أنت تقرأ طوال السورة عن قرون أُهلكت– فالله يقول أن هناك شيء إذا حدث لم يكن لينزل الهلاك، فما هو هذا الشيء؟

أن يكون هناك مجموعة كبيرة من الناس، هذه المجموعة الكبيرة اسمها أولو بقية المجموعة الكبيرة هذه تنهى عن الفساد، ولو كان عدد الذين ينهون عن الفساد كثير، ما كان لينزل العذاب.

{ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ}[هود ١١٦] أي فهلّا كان منهم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض؟ هذا معنى الآية، فهلّا كان من القرون من قبلكم أولو بقية أي أولو بذل وتضحية وجهد ينهون عن الفساد في الأرض، ولكن للأسف كانوا قليلاً، فهم فقط الذين نجوا وأهلك الله الباقين.

هذا هو معنى الآية سريعًا، فلولا كان من القرون من قبلكم، أي فهلّا كان منهم لكن للأسف الغالبية أعرضت وقلة قليلة الوصف الذي سماهم به الله، { فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ}[هود ١١٦] سماهم شيئين سماهم اسم أو **وصف** "أولو بقية"، وذكر لهم **فعل** "ينهون عن الفساد".

أي أنه عندما أراد الله أن يختار فعلًا واحدًا من الأفعال التي عملوها استوجبوا طبعًا بفضل من الله ﷻ النجاة، أخذوا به النجاة الفعل هذا، بماذا نجوا؟

ينهون عن الفساد في الأرض، تريد أن تنجو..، والخلاف في هذه الآية نفس الخلاف الموجود في قصة أصحاب السبت الطائفة التي لم تنكر، التي سكتت، لم تأكل الحيتان في يوم السبت ولم تراوغ ولم تنكر،

هناك طائفة سكتت كما قلنا سكتت فسكت الله عنهم، هنا أيضًا الله يقول أنه أنجى الذين كانوا ينهون عن الفساد والذين كانوا مسلمين لكن لم ينهوا عن الفساد سكت عنهم.

بعض المفسرين يقولون –واستعجبت جدًا أن يختار أحدهم هذا القول ويميل له وهو قول مؤلم وغريب جدًا– يقول: { وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ }[هود ١١٦] هؤلاء المسلمين الذين لم ينهوا عن الفساد هؤلاء الذين ظلموا، الذين اتبعوا الترف وأن المانع من النهي عن الفساد هو اتباع الترف وإن كان هذا قول بعيد ولكنني أذكره لعل الإنسان يعظ به نفسه، ويسقط الآيات على نفسه.

فيصبح في البداية { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ }[هود ١١٦] أولو بقية: الذين يكونون دائمًا مثل تعبير الزمخشري: –البقية– الذي تدخره بنفسك شيء جميل، وبتعبير ابن عطية: أصحاب الحزم والعقل والنظر والثبات، وتعبير البقاعي يقول: البقية المعنى المحوري لكلمة بقية هو الجمع والمراقبة أي أنك تريد أن تُبقي شيئًا، فهناك شيء موجود تريد أن تبقيه، تريد أن تحافظ عليه، فيجب أن تجمعه في مكان وتراقبه وتكون لديك القوة كي تمنع الأذى عنه، فكذلك الإيمان لكي يبقى بداخلك لابد أن تجمعه وأن تراقبه وأن تمنع ما يفسده.

كيف تُنمي إيمانك ؟

أنت تريد أن تحافظ على الإيمان الذي في قلبك وأن تكون من أولي بقية، أن تسعى في جمع الإيمان وأن تراقب هذا الإيمان و أن تمنع ما يفسده وأشد ما يفسد هذا الإيمان أن تتبع ما أترفوا فيه وأن تتوقف عن النهي في الفساد في الأرض، أي أن **أشد ما يُنمي الإيمان أن تنهى عن الفساد وأشد ما يفسد الإيمان اتباع ما أترفوا فيه**.

{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ}[هود ١١٦] هذا وصفهم، وقلنا ماذا يعنى أولو بقية لذلك يقولون "كم في الزوايا من خبايا وكم في الرجال من بقايا"، أي أن الذي يبقى بعد طول المحنة هؤلاء القلة، ثلةٌ من الأولين وقليلٌ من الآخرين، الذي يبقى هؤلاء دائمًا قلة، ندعو الله الثبات.

{أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ}[هود ١١٦] ، وأهم وصف لذلك وصف البقاعي قال كلمة رائعة قال:"ينهون المضارع لكثرة الفساد المنتشر" أي المضارع أن الفساد حولهم في كل ناحية وبالرغم من ذلك لم يتوقف عن النهي، لم يقل ماذا يمكنني أن أفعل؟ سأتركها كما هي عليه لا، لم يقل ذلك.

عدم إنكار الباطل بقلبك يعد فقدانا للإيمان الذي في صدرك

لذلك لو فقدت المعنى المحوري، بدأت تفقد شيئًا مهمًا في الدين، أنك لم تعد حزينًا على الفساد الموجود ولا تؤلمك مشاهد الفساد وما عادت تحرك داخلك ساكنًا، فهذه مصيبة هكذا أنت بدأت تبعد، أنت بدأت غالبًا تنتقل إلى مرحلة الراحة مثل الثلاجة –التي تكلمنا عنها في درس "القرار الثاني" أنت ابتعدت عن "ألقيت الجمرة".

فالمعنى المحوري ينهون عن الفساد في الأرض، المعنى محوري لكي تكون من أولو بقية.

{إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ}[هود ١١٦] من الثانية يسموها بيانية أي الذين نجوا هم الذين كانوا ينهون، وليس جزء من الذين كان ينهون الله نجاه، لا بل القليل الذين نجوا من هم القليل هناك شيء اسمه من البيانية ليست تبعيضية فمثلاً: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}[الحج ٣٠] كل الأوثان رجس فمعنى الآية فاجتنبوا الرجس التي هي الأوثان، فـ {إِلَّا قَلِيلًا}[هود ١١٦] هم الذين كانوا ينهون عن الفساد في الأرض.

{إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ}[هود ١١٦] الذين ظلموا جمهور المفسرين على أن هؤلاء الذين أهلكهم الله رفضوا، {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ}[هود ١١٦] جمهور المفسرين أن الذين ظلموا والمشركين الذين أهلكهم الله كان المانع الأساسي من قبول الدين هو الترف.

الذي اختاره قلة قليلة منهم أن الذي رفض أن ينهى كان المانع أنه مترف، منطقة الترف هذه هي منطقة قتل الروح الديني هي منطقة إطفاء الجمرة التي تقبض عليها، القابض على الدين كالقابض على الجمرة، فلا تذهب إلى هذه المنطقة.

أي هناك فارق بين أن يفتح الله عليك دنيويًا وبين أن تعيش مترفًا لدرجة أنها تنسيك النعمة، تنسيك حق الله، فلا تصل إلى هذه المرحلة، ولا سيما أهل الصلاح والإصلاح.

أهل الإصلاح لا يجوز أن يعيشوا مترفين، يا أيها المدثر قم، هذا الدثار اتركه لا يناسب حال الدعوة، وهذا التذمر اتركه لا يناسب حال العبادة، {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}[المدثر ٧].

{وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[هود ١١٦] سنة من سنن الله ﷻ ، غالب المفسرين قالوا: بظلم أي بظلم من الله، أن الله لم يكن ليظلم أحدًا وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه، لو كان أهلها مصلحين ما أهلكهم الله ولكنهم أشركوا وكفروا وطغوا فأهلكهم الله، هذا معنى قد قدمه كثير من المفسرين الطبري والزمخشري ورجحه ابن عطية هناك معنى آخر قدمه الرازي والقرطبي ورجحه بعض المعاصرين –والطبري ذكره أيضًا لكن أخره وأيضًا الزمخشري ذكره رقم ٢- قال: أن معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بشرك منهم طالما كانوا يتعاملون بالإصلاح والعدل فيما بينهم، والتي هي الحكمة المشهورة "أن الله يقيم دولة العدل ولو كانت كافرة ويهلك دولة الظلم ولو كانت مسلمة" أخذوها من هذه الآية.

وما كان ربك ليهلك القرى بشرك منهم طالما كانوا يتعاملون بالإصلاح والعدل فيما بينهم هذا معنى الآية على القول الثاني،

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ}[هود ١١٨] فهم سنن الله في الإصلاح فالله قادر على أنه يجعل الناس كلها مسلمة {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[هود ١١٨] هذه القاعدة التي قلناها نحن من البداية أن الخلاف سيظل، الصراع سيظل إلى يوم القيامة.

{ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك}[هود ١١٨-١١٩] الذين نجاهم الله ﷻ من الشرك وهداهم للإيمان ولذلك خلقهم إما للاختلاف أو للرحمة، فيقول أحدهم كيف خلقهم للاختلاف؟

لأن الله ﷻ نسميها لام العاقبة الله وضع فيك القدرة على الاختيار فمن الطبيعي أن هناك أناس تختار الفساد وأناس وتختار الشر، أي من الطبيعي أن الإنسان غير مجبور على اختيار الباطل أو مجبور على اختيار الحق، كلا بل هو الذي يختار إنا عرضنا الأمانة إما شاكرًا وإما كفورًا، باختيارك { فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[الشمس ٨].

{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[هود ١١٨-١١٩] الذين عصوا الله ﷻ.

{وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ}[هود ١٢٠] يا محمد ﷺ {مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}[هود ١٢٠]، فؤاد النبي ﷺ كان يحتاج إلي هذه الآيات من سورة هود حتى يثبت قلب النبي ﷺ كان يحتاج إلى هذه السورة تحديدًا.

{وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ}[هود ١٢٠] جمهور المفسرين هذه أي في سورة هود، قلة قالت هذه أي الدنيا، لكن جاءك في هذه جمهور المفسرين قال في سورة هود تحديدًا، في هذه الأوقات أنت تحتاج إلى ثلاثة أشياء: "تحتاج حق يقين تسمعه، تحتاج موعظة، تحتاج تذكرة" { جَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}[هود ١٢٠] كل هذا موجود في السورة.

فتخيل أن سورة هود كانت هي النجاة، كانت هي الثبات للفؤاد وجاءك في هذه الحق وموعظة للمؤمنين، خرج النبي ﷺ من السورة {قُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}[هود ١٢١] المصرين بعد كل هذا { اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ }[هود ١٢١] أقصى ما تستطيعون فعله افعلوه وأنا { إِنِّي عَامِلٌ }[هود ٩٣] أي أنا أيضا سآتي بأقصى ما أستطيع فعله {وَانتَظِرُوا} أن نموت، أن يهلكنا، انتظروا أي شيء، و {إِنَّا مُنتَظِرُونَ}[هود ١٢٢]، ماذا ننتظر؟ لست أعلم.

تخيل لو أن أحدهم في هذا الوقت يقول لهم {انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ}[هود ١٢٢]، فيأتي أحد من المشركين يسألك ماذا تنتظر؟ تقول له لا أعلم، هل تنتظر أن ينزل الله عذاب على قريش؟ -تخيل أن هذا في المرحلة المكية- لا أعلم. هل سيحدث فتح مبين؟ لا أعلم هل ستذهبون إلى مكان آخر مثل الحبشة؟

لا أعلم لكنني واثق في مراد الله، ماذا سيحدث؟ أنا أحتاج أحد يعرف ما الذي سيحدث {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}[هود ١٢٢] فماذا أفعل؟

المطلوب منك {فَاعْبُدْهُ} القوة النفسية {وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[هود ١٢٣] كل ما تفعله في هذه الأوقات الله مطلع عليه ولن يضيع جهدك ولن يضيع كلمة قلتها أو ركعة صليتها في جوف الليل تدعو للمسلمين، أي شيء ستفعله لتنصر به هذا الدين لن يخذلك الله ولن يضيعك الله ﷻ.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يستعملنا ويثبتنا –أعتذر أنني قد أطلت عليكم– أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وجزاكم الله خيرًا.